سورۃ النور

قال تعالى :
(يايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) النور/٢١ .

للشيخ : محمد الاباصيري خليفة

تحليل المفردات :

(خطوات الشيطان) طرق تزيينه **(ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر)** (ومن يتبع خطوات الشيطان) جملة شرطية وجواب الشرط محذوف لدلالة السياق عليه ، والفاء في قوله (فانه يأمر) علة لهذا الجواب . والتقدير : ومن يتبع خطوات الشيطان يوقعه في عذاب السعير لأنه يأمر بالفحشاء والمنكر **(ولولا فضل الله عليكم ورحمته)** لولا هنا شرطية وجوابها قوله تعالى **(ما زكى)** ومعنى ما زكي : ما طهر **(من احد ابدا)** من حرف يفيد ارادة النص مع عموم النفي في (أحد) . **(والله سميع عليم)** يسمع كل ما يتكلم به الانسان ويعلم كل ما يدور بنفسه .

مجمل المعنى :

ينهى الله تعالى المؤمنين عن ان يكونوا مقودين للشيطان ، يسلكون طرقه التي يوسوس باتباعها ، والنهي — وان كان عاما للمؤمنين في كل زمان ومكان — الا ان سياق الآية يجعله موجها اولا وبالذات الى اصحاب الافك على عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها بأنه اتباع لخطوات الشيطان ، ورسم هذه الصورة ،

ومواجهة المؤمنين بها ، يثير في نفوسهم اليقظة والحذر من عدوهم ، وعدو ابيهم وأمهم من قديم ، فان الشيطان عدو لآدم وحواء اخرجهما من الجنة بوسوسته وهو عدو لبني آدم ، دابه العمل على فتنتهم عن الحق ، وصدهم عن الخير ، واغرائهم بالفسوق والعصيان ليكونوا حطب جهنم .

وقد اخبر الله تعالى أن من يتبع خطوات الشيطان يوقعه في الهلاك لانه يأمر بالفحشاء والمنكر **(كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير)** الحج/٤ .

كما بين — سبحانه وتعالى — انه لولا فضله على عباده ورحمته بهم لوقع الكل فريسة لاغواء الشيطان . ولكن الله تفضل على عباده فبين لهم الطريق المستقيم ، وارشدهم الى الخير ووعدهم بالمغفرة والفضل ، وحذرهم من الشيطان ، وامرهم أن يتخذوه عدوا فلا يسلكوا له طريقا **(إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير)** فاطر/٦ .

فمن اتجه الى الله مؤمنا به ، عاملا بشريعته ، راغبا في هدايته ، زكاه وطهره ، والهمه رشده . ومن حاد عن هدى الله وشرعه تخلى الله عنه وانساه نفسه فضل وغوى .

والفصل بين المتجه الى الله والمعرض عنه يقوم على علم واسع محيط ، فالله تعالى يسمع كل ما يتكلم به الانسان في خلواته ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، وبناء على هذا العلم الذي لا تخفى عليه خافية من أمر العباد يصدر الله حكمه ، فيزكي من يشاء ، ويمنع التزكية عمن يشاء .

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) .

(ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) النور/٢٢ .

تحليل المفردات :

(ولا يأتل) اي ولا يحلف . قال الزمخشري : يأتلي من ائتلى اذا حلف والمعنى : ولا تحلفوا على الا تحسنوا الى من يستحقون الاحسان **(أولوا الفضل منكم والسعة)** الفضل : الصلاح والدين . والسعة : الغنى وكثرة المال ، وهذه شهادة عظيمة من الله تعالى بفضل أبي بكر رضي الله عنه . قال الفخر الرازي: اجمع المفسرون على أن المراد من قوله تعالى : **(اولوا الفضل)** ابو بكر رضي الله عنه ، وهذه الآية تدل على انه كان افضل الناس في الدين بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لانه تعالى ذكره في معرض المدح له ، والمدح من الله تعالى انما يكون في أمور الدين ، ويؤخذ منه انه — رضي الله عنه — أفضل الصحابة . **(والسعة)** الغنى وكثرة المال **(أن يؤتوا)** معناه الا يؤتوا وقد حذفت (لا) لدلالة المعنى على ذلك .

قال الزجاج : ان ـ لا ـ تحذف في اليمين كثيرا . قال تعالى : **(ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا)** البقرة/٢٢٤ . المعنى : الا تبروا . . وقال امرؤ القيس : « فقلت يمين الله أبرح قاعدا » أي لا أبرح . قال الألوسي : والنهي في قوله تعالى **(ولا يأتل)** ظاهره التحريم ، وقيل : اذا حلف على ترك الطاعة قد يكون حراما ، وقد يكون مكروها ، فالنهي هنا لطلب الترك مطلقا . اهـ

وجمهور الفقهاء على أن الحالف على ترك طاعة عليه كفارة اليمين عند الحنث فيه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه » . ولأن الله تعالى ذكر كفارة اليمين في قوله تعالى : **(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم)** المائدة/ ٨٩ . وذلك عام في الحنث وغيره . ويردون على من قالوا بعدم الكفارة استنادا لقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وذلك كفارته) بأن معنى هذا الحديث أن من يرجع عن يمينه ويأتي الذي هو خير فان اتيانه الخير يمحو اثم يمينه بضد الخير وليس الغرض من قول الرسول : (وذلك كفارته) أن اتيان الخير يسقط عنه كفارة اليمين .

ومن هنا نعلم أن كفارة اثم ترك الخير هي أن يأتي الخير . لأنه منهي شرعا عن الحلف على ترك طاعة الله .وكفارة الرجوع عن اليمين هي ما قد ذكره القرآن الكريم في آية المائدة .

(أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) المراد ـ حسب سبب النزول ـ مسطح بن اثاثه فانه ابن خالة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وكان من المساكين والمهاجرين في سبيل الله البدريين ، وكان قد وقع في حديث الافك ، وقذف عائشة ـ رضي الله عنها ـ ثم تاب بعد ذلك . ولا شك أن القذف من الذنوب الكبائر ، وقد احتج اهل السنة بهذه الآية على عدم بطلان العمل بارتكاب الذنوب والمعاصي اذ أن الآية لم تحبط هجرة مسطح . وقالوا : لا يحبط العمل الا بالاشراك والردة عن الاسلام ومن الردة استحلال المرء لما حرمه الله . قال تعالى : **(ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)** المائدة /٥ . وقال تعالى : **(ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٢١٧ .

(وليعفوا وليصفحوا) العفو عدم المعاقبة على الذنب الذي يقبل العفو ، والصفح الاعراض عن التوبيخ والتقريع ، وقد اتفق الفقهاء على أن الأمر هنا للندب والارشاد لا للوجوب ، فالعفو والصفح عن المسيء مندوب اليه ، لأن الانسان يجوز له أن يقتص ممن أساء اليه ، فلو كان العفو واجبا لما جاز له ذلك، وقد استند الفقهاء الى قوله تعالى: **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل)** الشورى/٤٠ و ٤١ .

(ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) المراد بهذا الخطاب ابو بكر ـ رضي

الله عنه ـ وقد ورد بصيغةالجمع للتعظيم . قال الامام الفخر : فانظر الى الشخص الذي كناه الله تعالى مع جلاله بصيغة الجمع كيف يكون علو شأنه ؟

وفي سبب نزول هذه الآية قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فيما رواه البخاري ومسلم :

لما انزل الله تعالى براءتي قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ـ وكان ينفق على مسطح بن اثاثه لقرابته منه ، وفقره « والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعدما قال لعائشة ». فأنزل الله تعالى:(**ولا يأتل اولوا الفضل**) الى قوله :(**والله غفور رحيم**) فقال ابو بكر : « بلى والله اني لأحب أن يغفر الله لي » ، فرجع الى مسطح النفقة التي كان يجري عليه وقال : « والله لا انزعها منه ابدا » .. وروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان في الصحابة آخرون حلفوا الا ينفقوا على من خاضوا في حديث الافك من اقربائهم ، فرجعوا عن حلفهم بعد نزول هذه الآية .

مجمل المعنى :

الآية دعوة من الله تعالى الى العفو وغفران الزلات بين بعض المؤمنين وبعض ، كما يرجون غفران الله لما يرتكبونه من اخطاء وذنوب ، وهي تنهى عن الحلف بعدم البر بذوي القربى والفقراء لقاء ما يقع منهم من اساءآت . وتأمر من وقع في هذا الحلف أن يحنث ويبرهم لينال غفران الله لذنوبه .

وان الأذى ـ اي اذى ـ يقوم به قريب أو فقير أو مسكين ليتضاءل امام الأذى الذي اوقعه مسطح بأبي بكر رضي الله عنه ، فقد جرح بحديث الافك قلبه ، وطعنه في بيته وعرضه ، وزاد الاتهام المشين مرارة والما ان يصدر من قريب محتاج يتمرغ في نعمة من آذاه :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

ولكن أبا بكر الذي احتمل مرارة الاتهام شهرا كاملا لابنته ، وقلق بهذا الاتهام على رسول الله ودعوته كان من أرباب النفوس الطاهرة الزكية التي تطهرت بنور الله وزكت بحب رسوله ، فما يكاد يسمع دعوة ربه الى العفو والصفح ، وما يكاد يستشف معنى الخير في قوله تعالى : (**ألا تحبون أن يغفر الله لكم**) ؟ حتى يرتفع على الآلام ويستعلي على مشاعر الانسان ، وتشرق روحه بنور الله . فاذا هو يلبي ما دعاه الله اليه ويقول في طمأنينة وصدق : « بلى، والله اني لاحب أن يغفر الله لي ، ويعيد الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ويحلف : والله لا انزعها منه ابدا وهو الذي حلف قبل نزول الآية : والله لا انفعه بنافعة ابدا .

والآية ـ مع سببها الخاص ، الذي اظهر المعدن الطيب في نفس ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ وازال الجفوة التي سببتها فتنة الافك في القلوب ـ هي دستور عام لاهل الصلاح والايمان والسعة في الارزاق مع اولى القربى والفقراء والمساكين الى يوم الدين .

(إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ

يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) سورة النور/٢٣ ـ ٢٥.

المفـــــــردات :

(المحصنات) العفيفات الشريفات **(الغافلات)** اللاتي لا خبرة لهن بالفاحشة ولا ترد لهن على بال ، ولا يتخيلن امكان أن يرميهن أحد بها لشرفهن وطهارتهن **(المؤمنات)** المصدقات بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر **(لعنوا في الدنيا والآخرة)** اللعن هو الطرد والابعاد من رحمة الله **(ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا)** النساء/٥٢

وقد قال الآلوسي : لا خلاف في جواز التعميم باللعنة على الكفرة والفسقة والظلمة ، ولا خلاف في جواز لعن كافر معين تحقق موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب ان لم يتضمن ايذاء مسلم ، فان تضمن أيذاء مسلم فهو غير جائز ، أما لعن كافر معين وهو حي فقد قال ابن حجر : ان أراد بلعنه الدعاء عليه بتشديد الأمر أو اطلق لم يكفر ، وان أراد بلعنه سؤال بقائه على الكفر ، أو الرضى ببقائه عليه كفر .

وقد ورد في السنة ما يجيز لعن فاسق معين اشتهر بفسقه وكثرة ضرره ، ومنها ما صح أنه صلى الله عليه وسلم مر بحمار وسم في وجهه فقال : (لعن الله من فعل هذا) رواه مسلم . ومنها ما صح أنه عليه الصلاة والسلام لعن قبائل من العرب بأعيانهم فقال : (اللهم العن رعلا وذكوان وعصية ، ، عصوا الله تعالى ورسوله) رواه البخاري . ومن هذا يتبين انه يجوز لعن من اشتهر بالفسق اذا كان ضرره بينا وأذاه واضحا يتعدى الى الناس ، أو كان سيفا مسلطا بالظلم والطغيان كأولئك الذين يضع الله في يدهم حكم العباد فيروعون الآمنين ، ويزهقون الأرواح البريئة ، ويعذبون الناس ويستبيحون حرماتهم : ويأكلون أموالهم بالباطل، ويلبسون الرعية ثوب الفزع والرعب والقلق ، ويحاربون الاسلام بابادة العناصر المؤمنة والتنكيل بها !! وقد حدث المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى عن مثل هذا الصنف من الظلمة ، وذلك من معجزات النبوة ، ففي الحديث الصحيح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (صنفان من اهل النار لم أرهما) وذكر أحد الصنفين فقال : (قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس).

(يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) معنى تشهد : تقر وتعترف بما ارتكبوا وقال ابن جرير : المعنى أن السنة بعضهم تشهد على بعض بما كانوا يعملون من القذف والبهتان ، فاذا بعضهم يتهم بعضا بالحق ، وقد كانوا في الدنيا يتهمون المحصنات الغافلات المؤمنات بالافك .

(يومئذ يوفيهم الله) التوفية : اعطاء الشيء وافيا . يقال : توفى حقه اذا أخذه كاملا غير منقوص **(دينهم الحق)** جزاءهم العادل **(ويعلمون أن الله هو الحق المبين)** أي ويومئذ يستيقنون ما كانوا يستريبون ، ويعلمون أن الله هو الحق المبين ، قال ابن عباس : وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين فاذا كانت القيامة علم حيث لا ينفعه . واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على أربعة أقوال : الأول : انها نزلت في عائشة خاصة . الثاني : انها في أزواج النبي خاصة . الثالث : انهافي المهاجرات فقد كان المشركون يقذفون المهاجرة الى

المدينة ويقولون : انما خرجت تفجر . والرابع : انهـا عامة في ازواج النبـي وغيرهن . قال ابن جرير الطبري : واولى هذه الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها . وقال ابن كثير : وهو الصحيح ، ويعضد العموم ما جاء في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (اجتنبوا السبع الموبقات) قيل : وما هـن يا رسول الله ؟ قال: (الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحـف وقـذف المحصنات المؤمنات الغافلات) .

وقد ذهب ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ الى ان من استباح قذف امهات المؤمنين كان كافرا مرتدا عن الاسلام ، وقد ورد الوعيد الشديد في حق قاذفهن كما قال تعالى : **(لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم)** .

وقال الالوسي : ان القاذف لامهات المؤمنين قبل نزول الآيات ببراءة عائشة ان كان مستبيحا ذلك او قاصدا الطعن في عرض الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو كافر كعبد الله بن ابي لعنه الله ، وان لم يكن مستبيحا ولا قاصدا الطعن في عرض رسول الله فليس بكافر كحسان بن ثابت ، ومسطح بن اثاثة وحمنه بنت جحش . فقد قالوا ما قالوا تقليدا للمنافقين ، ولما نزلت الآيات وبختهم على ذلك توبيخـا شـديدا .

اما من رمى احدى امهات المؤمنين ـ بعد نزول الآيات ببراءة عائشة فهو كافر ، لانه بذلك يكذب الله في اخباره ، ويؤذي رسول اللـه في نسائه العفيفات الطاهرات الشريفات .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مجمـل المعنـى :

يخبر الله تعالى خبرا مؤكدا بان الذين يستبيحون قذف المحصنات الغافلات المؤمنات عليهم لعنة الله في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم في يوم ينطق اللـه السنتهم وايديهم وارجلهم فتقر وتشهد بما كانوا يعملون واذ ذاك ياخذون جزاءهم العادل على ما اقترفوا من جرم ، ويرون ان ما كانوا يشكون فيه من دين اللـه وحسابه العادل حقيقة ظاهرة ولكن لا ينفعهم هذا العلم ، ولا يغني عنهم مـن عذاب الله شيئا **(يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين).**

(الخبيثات للخبيثـين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبـين والطيبون للطيبات اولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) النـور/٢٦ .

المفـردات :

(الخبيثات) اي من النساء **(للخبيثين)** اي من الرجال **(والطيبات)** اي من النساء **(للطيبين)** اي من الرجال .

والخبيثات جمع خبيثة ، والخبيثون جمع خبيث ، والخبيث هو الذي يعمل الفواحش والمنكرات سمي خبيثا لخبث باطنه وسوء عمله قال تعالى : **(ونجيناه**

من القرية التي كانت تعمل الخبائث) الانبياء/٧٤. والطيبات جمع طيبة والطيبون جمع طيب والطيب هو المؤمن الذي يعمل الصالحات ويبتعد عن المنكرات .
(أولئك) اي الطيبون والطيبات **(مبراون مما يقولون)** اي مبراون مما يتقوله اهل الافك عليهم من الأكاذيب الباطلة ، والمراد بهم عائشة وصفوان **(لهم مغفرة ورزق كريم)** اي للطيبين والطيبات المبرئين مما قذفهم به اهل الافك مغفرة من الله لما يقع منهم من أخطاء ، ورزق كريم هو الجنة .

وفي تفسير الكشاف يقول الزمخشري : لقد برا الله اربعة باربعة برا يوسف بلسان الشاهد **(وشهد شاهد من أهلها)** يوسف/٢٦ وبرا موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بأنطاق ولدها حين نادى من حجرها **(إني عبد الله)** وبرا عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر ، فانظر كم بين تبرئتها وتبرئة أولئك ؟؟ وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم خير الأولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق عظمة شأنه واحرازه قصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك ، وليتأمل كيف غضب الله في حرمته ، وكيف بالغ في نفي التهمة عن حماه .

مجمل المعنى :

بين الله في هذه الآية مبدأ من مبادىء الحياة الاجتماعية في الاسلام وهو أن النفوس الخبيثة لا تلتئم الا مع النفوس الخبيثة ، والنفوس الطيبة لا تمتزج الا بالنفوس الطيبة ، وعلى هذا تقوم العلاقات بين الأزواج وحيث كان رسول الله في أعلى مقام واسمى منزلة تبين أن عائشة رضي الله عنها من أطيب النساء ، وأن ما قيل في حقها كذب وبهتان ، ولقد أحبتها نفس الرسول حبا عميقا وما كان الله ليحببها الى رسوله المعصوم الا وهي طاهرة عفيفة شريفة تستحق هذا الحب العظيم .

قال الامام الفخر : بين الله أن الطيبات من النساء للطيبين من الرجال ولا أحد أطيب ولا أطهر من رسول الله ، فأزواجه اذن لا بد أن يكن طيبات . وعلم من قوله تعالى **(لهم مغفرة ورزق كريم)** أنهن معه في الجنة ، وهذا يدل على أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ تصير الى الجنة .

ولو لم يكن من فضلها الا ما رواه البخاري ومسلم واحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » لكفى ذلك .

وبهذه الآية ينتهي حديث الافك الذي كبد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزوجه عائشة ـ رضي الله عنها ـ والصحابي الجليل صفوان بن المعطل ، والصديق ابا بكر رضي الله عنه واهل بيته والثابتين على الايمان آلاما مريرة استمرت شهرا كاملا ثم انتهت بتثبيت الثقة في طهارة بيت النبوة ، وفي عصمة الله لرسوله أن يجعل زوجاته الا من العنصر الطاهر الكريم ، وقد جعل الله تلك الآيات ضياء ترتفع به النفوس الى آفاق النور في سورة النور .